

الْأَبِ يُوسُفَ أَخِي الْأُبَيَّهِ
وَقَدِيسُونَ آفَرُونَ بِاسْمِ أَنْبِيَا يُوسُفَ

مقدمة

يوجد كثيرون من القديسين باسم أنبا يوسف ، وهناك خلط في سائر بعضهم كما تبين ذلك من المراجع التي رجعنا إليها ، وفي إيجاز نستطيع أن نستخلص بعض هذه الشخصيات .

١- الاب يوسف أخو القديس أنبا بيمين

كان شيخاً يكبر بيمين الذي تبيع في منتصف القرن الخامس الميلادي .

٢- الاب يوسف من أنباو (حالياً المنزلة)

يذكر عنه بلاديوس ان أولوجيوس أحد مشاهير الرهبان في القسطنطينية ذهب مع زملاء له لزيارة الاب يوسف في قلايته في « أنيفو » . وفي مكان آخر يذكر أن بعض الآباء كانوا يمرون على « أنيفو » يسألوا الاب يوسف بعض الأسئلة .

٣- الاب يوسف الاسقيط

ترهب وهو صبي بالإسقيط .

٤ - الاب يوسف اس اسلان باسطين

٥ - الاب يوسف الماسر القديس الطولوس الكبير

المتيخ سنة ٣٥٦ م ، وقيل منه أنه كان وفنتد شينخا .

٦ - الاب يوسف الطبايسي المتوحد بصر

تسأل الله أن ينفذنا بصلوات هؤلاء القديسين ، ولإلهنا المجد

دائماً ابدياً آمين .

يوسف جميلين

١ - الاب يوسف اخو القديس انبا يميمين

من شيوخ برية شيبوت عاش في القرن الخامس ويمتاز
بدايته في الإرشاد والافراز (التمييز في الأمور الروحية) حتى
أن الاب يميمين نفسه مع شهرته الفاتحة في القداسة ومع ما ناله
من مواهب صنع المعجزات كان يطلب إرشاده ويسأله فيما هو
نافع للنفس وسنذكر ذلك فيما بعد ...

مكانة الاب يوسف (١)

رغم أن الاب يميمين كان شينخاً له دراية في الأمور الروحية
إلا أنه كما ذكر عنه لما كان يزوره أحد ليعتقده في أي أمر من
الأمور كان يرسله إلى الاب أيوب أخيه ، وما ذلك إلا رفضاً
منه للكرامة واعطائها لأخيه الذي بالتالي كان هو أيضاً يعطى
الكرامة للاب يميمين معتزراً بأن مواهب هذا الأخير كثيرة -
وكان الاثنان يعتزran في النهاية إلى الاب يوسف (٢) .

(١) يوسف كلمة عبرية معناها « فرح القلب » .

(2) The Paradise of the Holy Fathers , P: 112 ;



+ سأل الاب يوسف الاب سيسوى (1) Sisoes قائلاً :
كم من الزمن يحتاج الانسان لقطع الآلام (2) ؟ ، قال له الشيخ :
« هل تريد أن تعرف متى تقطع الآلام ؟ ، أجاب الاب يوسف
وقال له « نعم » - قال سيسوى « حينما تتحرك فيك الشهوة
إقطمها حالا .

+ كانت للاب يوسف حكمة خاصة في الإرشاد مثل الطبيب
الحاذق المدرب ، وكان يعطى النصيحة لكل واحد حسب حالته
الروحية واحتماله ، لذلك نراه في التمرة التالية يعطى نصيحة للاب
ييمين الشيخ الذي جاء يسترشد عن الأفكار الشريرة .
سأله الاب ييمين قائلاً : ماذا يجب عليّ أن أفعل عندما تحضر أفكار
شريرة لذمّي ؟ هل أطردهما أم أجاهبها .

فأجابه الاب المختبر قائلاً : « دعها تدخل وسارها بفشاط

(1) سيسوى الكبير من مشاهير الرهبان في شبوت زُح إلى الصحراء
منذ حداته وُرهب تحت القيادة الرشيدة للأب هور وصل إلى قمة التواضع
واعطيت له موهبة المعجزات وتليح حوالى سنة ٤٢٩ م - هو شوشاي
وشيشاي .

(2) قطع الآلام - الانتعاز على الشهوات .

وكاله يقول له : ماذا يجب أن أفعل إذا لم أجد راحة في شيوخ ؟
ويبدو أن هذه الأفكار تكون غير متعلقة بشهوات الجسد ،
التي يجب طردها فوراً ، وذهب إليه راهب آخر (2) وسأله نفس
السؤال السابق فأجابه « لا تدع الأفكار تدخل إلى ذهنك بأى
حال من الأحوال لكن أطردهما فوراً ، (3)

(1) هذا التدريب لا يعطى إلا لمن صارت لهم الحواس مدربة على
التمييز بين الخير والشر كما أنه يعطى لمن لهم قوة في الجهاد وقدره على احتماله
التعب وقع النفس . ولا يعني ترك الأفكار تدخل ويقبلها الانسان ويتناقش
مهما بطلافة ويرحب بها لتلا يتخضع فيسقط ولسكنه يقصد زيادة في الجهاد
بالنسبة لتبج مختبر حتى يكون له أجر أكثر ، فمن ترك الفكر يدخل إليه
ينبغي أن يعلم أنه سينتقل مع جليات الجبار . وعلى العموم فهذا تدريب خاص
أعطاه مرشد روهي مسئول عنه ولا يعطى إلا في حالات ووهية ممتازة استثنائية .

(2) ذكر « بلاديوس » جزء ثان ص ٢٦٠ أن ذلك الراهب كان
قد جاء من طيبة إلى الاسقيط ، ولما عاد من الاسقيط إلى طيبة أعلن أمام
الجميع عما أخبره به الأب يوسف - وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على
مدى الاهتمام بالارشاد الروحي في ذلك الزمان .

(3) ينبغي أن تعطى النصيحة لكل إنسان بالهروب فلا يدع الأفكار
تدخل إلى قلبه لتلا يسقط . ولذا ينبغي على كل من تحارب الأفكار الشريرة
ولا سيما الشهوات الجسدية أن يشغل فكره دائماً بأى أمر من الأمور النافعة
والهنية لنفسه - ويقول أحد المختبرين لثاب محارب « املاً ففكرك وفلك
محبة الرب يسوع دائماً ولا تحف حينئذ من هجوم الخطية ... » .

سمع الأب بيمين بنصيحة الأخ فضى لوقته إلى الأب يوسف يسأله عن هذا الأزواج في النصيحة بشأن الأفكار . وقال له :
« يا أباي لقد أعطيت ارشاداً مختلفاً عن أمر واحد بعينه
لسكن لماذا ؟ » .

أجاب بأن النصيحة الأخرى التي للأخ فهي الطريق الأسلم
والأعم بكل النفوس ، فيتحمّ المروب من الشر وطرده الأفكار
الشريرة في الحال بكل يقظة ونشاط وبالصلوات المستمرة
والتدريب على كراهية الخطية ونبذها والشعور بمرارتها .

وسأله أحد الإخوة : ماذا أفعل لأن الأفكار التي تقاثلني
كثيرة ولا أعرف كيف أقارمها وأحاربها وأجاهد ضدها ؟

أجاب به الشيخ : لا تقاثلها جميعها ولسكن أعلن الحرب على
واحدة فقط منها - الأكثر خطراً - لأن كل الأفكار الشيطانية
لها رأس واحد فقط ومن الضروري للإنسان أن يفهم وأن يقوم
بالحرب ضد الرأس فقط لأنه فيما بعد سوف تسقط وتزول جميع
الأفكار الأخرى تماماً كما في الحرب إذا ظهر في الميدان أحد
الرجال العظام فإن الرجال في الميدان الأخرى يفعلون كل ما في
طاقاتهم إنسكى يقفوا ضد ذلك الرجل العظيم وحده ، لأنه إذا قهر

ذلك العملاق العظيم في الحرب فإن باقي الرجال الذين في المعركة
سوف يولون الأدبار قارين ، وبهذه السكيفية فإن هناك رأساً
واحداً لكل الأفكار الشريرة التي تأتي من الشياطين سواء
أكانت أفكار زنى - عيش مسرف - محبة المال ... أو الجرلان
عن مكان لآخر .

إقتنع الأخ وبدأ يقاتل الخطية وعرف خطرها وأعلن
الجهاد ضدها وهكذا تخلص من شر القتالات (١) .

تمييز أفكار الدينونة :

سأل أحد الإخوة الأب وقال له : « إذا ما رأيت شخصاً
يفعل أمراً ما وأخبرت الإخوة عنه ، ولم أفصد من وراء ذلك
دينونة أو التنبيل من كرامة ... بل كانت كداني بريئة وبسيطة
فهل تحمك على هذا الحديث بأنه من الشرير ؟ أجابه قائلاً : « إذا
كانت هناك خطية في القلب أو أي ضغينة أو حتى انفعال غضب

(١) وردت هذه القصة بالباستان الجزء الثالث من ٧٦ كلاً تمي :

« سأل أخ شيخاً قائلاً : أي شيء أصنع فإن أفكاراً كثيرة تقاثلني ،
ولست أدري كيف أقاثلها ؟ قال له الشيخ : « لا تقاثل مقابل الكل دفعة
واحدة ولسكن قاتل واحدة فقط - لأن الأفكار لها رئيس فأجبل همك إلى
رئيسها ، فإذا هزمت ذلك الفكر فقد إنتهت البقية » .

أو ذكريات قديمة أو أي أمر يجعلك تنفعل وتثور أثناء الحديث فإن هذا الحديث يعتبر خطيئة إذا رددته، ولكن إذا كان الكلام يزيد المحبة ويضيق السلام فيخلو من الشر وبالتالي يكون مفيداً .

الاب يوسف يعترف ضيقة شديدة (١)

حدث مرة أن رأى الإخوة الاب يوسف حزناً ومتكديراً للغاية فسألوه لكي يخبرهم عن سبب حزنه، ولكنه لم يخبرهم... ولبتدأوا يقولون بعضهم لبعض : ماذا يا ترى الذي أحزنه ؟ لنا قد مكثنا معه سنين كثيرة ولم نره من قبل مثل هذا الحزن والالم - ربما نكون قد أحزنناه بطريقة ما - حينئذ ضربوا له مطانية قائلين : ربما نكون قد أغضبناك في أمر ما فسامحنا لأجل محبة يسوع .

فأجاب الشيخ وقال : لا بل سألوني أنهم أيها الإخوة فأنتم لم تحفظوا لي ولكني متأم من ذاتي لأنني أرى أني في تأخر مستمر وأرجع للورا. بدل التقدم للأمام ، أيضاً لأنني أرى أننا في الوقت الحاضر نخبر أنفسنا أكثر من أي وقت مضى لأن

(1) The book of paradise .

التهاون وعدم الخوف قد تسلط علينا ، وقص عليهم ما كان الآباء يعملونه حينما كانوا يهتمون مماً إذ كانوا يتجهون ويفشغلون بقلوبهم في أمور الحياة الأبدية والمحبة تلام بهم بعضهم نحو بعض ، أما نحن فلست أعلم لماذا - طر علينا الاسترخاء حتى كثرت خطايانا (وأراد أن) وأكل قلائدني متأم لأننا نهبط أنفسنا الكرامة ونرفع أنفسنا على حساب الآخرين وبالتالي نسلب الآخرين كرامتهم ونسب إلى إخواننا وليس هذا لحسب بل ونحو الضيوف الذين يأتون من العالم لزيارتنا - ولغولاء نكون حبر حرة وسبب خسارة وذلك لأنهم يتخلدونا قدوة .

وقد شكنا الاب سلوانس والاب لوط للاب يوسف عدم استطاعتهما الاستمرار في النمو في حياتهما الروحية في هذا المكان وانهما يريدان أن يغادرا هذا الموضع ، وقد قال الاب لوط ان أحد الضيوف وبخه قائلاً اني لا أظن أنك راهب بالفعل ؟ . أجابهما الاب يوسف قائلاً : ماذا تظنون . ١٤ هل نستمر على هذه الحال أو نقوم من تراخيها ونلاحظ جيداً وصايا الانجيل وروح آبائنا والعمل هل تنفيذها . وصدقوني ان كنتم لا تطيعوني في ذلك فإن أرحل بعيداً عنكم .

ولما قال الأب يوسف هذا الكلام على مسمع من الاخوة
كان وقعه شديداً عليهم ولم يستطع أحد أن يعلق بكلمة لحدث
سكون ادة طويلة وقام أحدهم ليقرع الجرس يدعوا الرهبان
الذين لما حضروا عدوا ما قاله الأب يوسف وعرفوا مصدر
حزنه وضيق نفسه وبدأ كل واحد منهم يمكته ضميره وأخيراً
قاموا بنفس واحدة والقوا بأنفسهم أمامه قائمين : و سألنا
أيها الأب من أجل عبدة يسوع - حقاً لقد أغظنا الله بأعمالنا التي
عملناها : و صنع الأب يوسف لهم مطانية أيضاً وقال لهم أن
الله دعانا لكي ننال كمال الفضيلة ، وأنا أرجوكم أن نأثروا وتصلوا
معى وتتوسلوا إلى الله لكي تجوز عنا قوات ابليس العدو ، لاني
كنت أراهم واقفين في غيظ يريدون الفتك بنا جميعاً إذا لم يقم
الله وينهض لمعونتنا ويرحم شقاوتنا .

ولما قال هذا وقموا جميعاً على الارض ورفع يوسف قلبه
نحو السماء وابتداء يصلية تلا : و ... لترتد اسلحتهم إلى قلوبهم
وتتكسر سهامهم وأجسامهم يا الله مثل الزراب أمام الرياح وليقم
الله الآن ولتفرق جميع أعدائه يا الله خلصنا يا أيها السيد التفت
إلى موعننا . وصل جميع الاخوة صلوات المرامير معاً بعد ذلك
وكان هناك بكاء شديد من الاخوة ووقعوا على عنق الأب يوسف

وقبلوه ثم قاموا من أمامه وقلوبهم تنطق : يا الله القدوس ،
يا الله العظيم غير المئات اصنع معنا رحمة ، و في تلك الانساء
كانوا يسمعون أصوات غريبة كأنها أصوات فرسان وكان هناك
كن يتكلم بغيظ ويقول : لا ينبغي لكم أن ترحمهم ... من هم
الرهبان حتى يفتنوا ضدنا ؟ لولا معونة الله لهم لاهلكنا هم ...
فعلوا أن هذه هي قوة الشيطان الذي كان مرابطاً حولهم والتي
حدثهم عنها الأب يوسف سابقاً .

وجاء الاخوة إلى الأب يوسف قائمين : إغفر لنا وصل
لاجننا لكي يساعنا الله لاننا أخطأنا إليه وأغظناه .

حينئذ قال لهم الأب يوسف : ... تقووا في الرب وفي شدة
قوته والتفتوا لذواتكم وتاملوا ... قد نأكدتم بأنفسكم ان
عدونا يحول كاسد زائر اغبا في أن يتلمع من يفرسه ، فليترك
كل واحد ماله على اخيه وتقورا بحببة الرب يسوع واقربوا
إليه فيقترب اليكم وينهض لمعونتكم ضد عدوكم . وإذا لاحظتم
روح آبائنا فإنى أؤكد لكم أن الشيطان لا يستطيع أن يضركم وأن
البربر أيضاً سوف لا يأتون إلينا ولكن إذا توانيتم فصدقوني
أن هذا المسكان سوف يترك لكم خراباً .

وكانت محبة الإخوة تزداد بعضهم لبعض وعاشوا في محبة
وخوف الله .

وحدث بعد ذلك أن الأب يوسف أرسل أحد الإخوة
ليستدعي الأب سلوانس والأب لوط ، ولما علم هذان الأبوان
بما حدث بين الإخوة شكرا الله ، وكان لما حدث أثر بالغ في
ففسيرهما حتى انهما لم يستطعا أن يمنعا الدموع من أن تنهمر من
أعينهما ... ، ومجد الجميع الله الذي لم يرفض الذين التجأوا إليه...
وأخذ الأب يوسف بعدئذ يسكّر من افتقادهما وارشادهما
وتعزيتهما .

وفيما يختص بالقوانين والأوامر التي وضعها الإخوة بينهم
وبين أنفسهم قد ساروا بموجبها تماما في يقظة واجتهاد كل أيام
حياتهم في خوف الله وفي عيشة مرضية حتى يوم لياحتهم .

درس في الصلاة (١)

ذهب الأب لوط إل الأب يوسف مرة متضرراً من
الصلوات والأصوام وقال للأب يوسف إن أتو صلواتي وأصوم

عذر قوتي فاذا ينبغي أن أفضل أكثر ؟! ويبدو من السؤال كأنه
كان غير مقتنع بما يفعل فلم تمد الصلاة والصوم مصدر إشباع
وتجوله ولم يعرف كيف يصل ... !

أما الأب يوسف فلم يجبه على السؤال بكلمة واحدة لكنه
وقف للصلاة معه ، وبينما كان الشيخ القديس في انسحاق وروحي
يرفع يديه ويصل كان وجهه يضيء بمحبة الله وكانت يده
المرفوعتان تظهران كأنهما ملتفتان من حرارة الصلاة - أما الأب
لوط الذي كان يحس في ذلك الوقت انه في حضرة الله فلم يستطع
أن يقف على قدميه وطرح ذاته على الأرض وأخذ يقرع صدره
قائلاً ... ويل لقد أضعت زماني في القنور والنهاون وظننت أني
شيء... فقد أحس بمظمة الصلاة وقوتها، ولما انتهيا من صلاتهما
وقبلا بعضهما بعضاً انصرف الأب لوط دون أدنى كلمة واحدة...
فقد اختبر شيئاً جديداً .

وبعد أيام ليست بكثيرة زار الأب لوط الأب يوسف
رساله كيف يصل فأجابه الشيخ انك لم تصبح بعد راهباً فتقوى
لأن الراهب ينبغي أن يكون شعلة متوجهة .

روى عن الاب يوسف (١) أنه لما قارب أن يقتبح لم يفارقه
 شيخو الخ المنطقه ويقال ايضاً أنه نظر إلى النافذة ورأى الشيطان
 جالساً كأنه يحاول أن يرميه ، ولكن الاب نادى تليده في ثبات
 وقال له احضري عصا هنا لأن الشيطان يظن أنى أصبحت كهلا
 لا أستطيع أن أقوم وأقاومه ... وأمسك بالعصا بقبضة يده
 وحاول القيام وفي تلك الأثناء تحول الشيطان إلى شكل كلب ألقى
 بنفسه من النافذة وهرب من الشيخ .

ويظنر أن هذا الشيخ عاش إلى سن متقدم جداً فهو يكبر
 الاب يمين رغم أن هذا الاخير قد تقدمت به السنون .

من أقوال الاب يوسف :

نحن أخوة هذا الزمان نأكل ونفبح الجسد ، من أجل هذا
 لا نتمر مثل آباءنا لأن آباءنا كانوا يبغضون جميع نباح الجسد ،
 ويحبون كل الضيقات من أجل الله ، ولهذا اقربوا إلى الله الحى .

(١) عن Budge ص ٢٥ الجزء الثانى وكتاب Wit and wisdom

يوجد ثلاثة أمور مفضلة أولها أن يؤدي الانسان عمله من
 أجل الله فقط ولهذا لا يراقى فيه وثانيهما أن يكون الانسان
 لإمان مرضه وفي أثناء تواتر المحن والتجارب عليه راضياً شاكراً
 وثالثهما أن يداوم الانسان على طاعة أب روحى يعمل بحسبه
 مشورته وبهذا يؤمل الانسان نفسه لإكليل لا يفنى .



٢ - الأب يوسف من أنيفو^(١)

هذا القديس من رجال القرن الرابع ، وكانت له طريقة خاصة في معاملة الناس ، ضيوفا كانوا أو إخوة ، وكان يلقب (بمبغض الربا) - فهو لم يخضع لنظم الحياة النسكية كسقوانين جامدة يلتزم بالسير بموجبها بقدر ما استعان بها كوسائل فعالة للنمو في حياة التقوى والفضائل فكان يهتم بزاويه اهتماماً خاصاً ، وإليك بعضاً من نواحي حياته المتعددة الأطراف .

ضيافته للغرباء

زاره مرة أحد الآباء يدعى أولوجيوس - وكان هذا الأب يحيا حياة صارمة في التقشف في مدينة القسطنطينية حتى نال صيتاً وشهرة فائقة وكان الأب يوسف رئيساً لقرية Thmuis تميموس بمركز السبلاوين مكانها الآن تمى الامديد - وكان على جانب كبير من المعرفة حتى أنه كان يتحدث مع ضيوفه باليونانية دون حاجه

(١) كانت مدينة عظيمة عندما زوال وهي الآن نزلة حالياً .

إلى مترجم وربما لشهرته هذه جاء الأب أولوجيوس لزيارته في قلايته في أنيفو .

رحب المترجم بؤلاء الغرباء وقبلهم بسرور حسب عادته وأوصى تلميذه أن يصنع بعض الاطعمة الجيدة التي توافق الضيوف وتعتبر عن إكرامه لهم وقدم لهم أفضل ما كان عنده واستضافهم بحبة تثير العجب ، وأما الأب أولوجيوس فلم يرد أن يأكل من هذه الاطعمة ، وظل مطرقاً رأسه إلى أسفل ولم يرد أن يشارك الاخوة في طعامهم وقال أحد الاخوة من أتباع أولوجيوس للأب يوسف : يا أبى ان الأب أولوجيوس لا يأكل هذه الاطعمة ! ، أما الأب يوسف فلم يتكلم بل كان يأكل صامتاً ولم يجب بشيء وظلوا على هذا الحال ثلاثة أيام ، وزاد الأمر دهشة أن ضيوفه لم يسمعه طيلة هذه المدة يصل أو يرتل بالمزامير لأنه كان يفعل ذلك خفية دون أن يعلم به أحد .

ويبدو أن الاخوة قد غاب ظنهم إذ كانوا يتوقعون أن يروا رجلاً منازاً في تقشفاته ومواهبه وتركوا أنيفو وهم غرر متأثرين .

مضى الاخوة في طريقهم وكانهم يوبخون أنفسهم لانهم لم يستطيعوا أن ينتفخوا شيئاً ! لكن الله الذي يرى في الخفاء أراد أن يظهر عبادة هذا القديس الحفية ويمل أمام هؤلاء جمال العشرة الداخلية السرية فسمح بأن يضلوا الطريق، فاضطروا أن يعودوا في نفس اليوم إلى قلاية القديس مرة ثالثة (١) ، ولما اقتربوا من الباب سمعوا الأب يوسف يرتل بصوت عال فترقفوا فقرة أمام الباب وانتظروا أن ينتهي من ألحانه الجميلة فلم ينته وأخيراً قرعوا الباب ولما فتح الباب كان وجهه يشوشاً عليه امارات السرور والمحبة وجرى أحد تلاميذ أولوجيوس داخل القلاية لكي يحمل قليلاً من الماء إلى أولوجيوس الذي كان شديد العطش، وما كاد أولوجيوس يشرب من الماء حتى توقف ولم يستطع أن يشرب لانه كان في فمه شديد الملوحة !

لقد شعروا جميعاً أن الله وحده هو الذي هيا لهم العودة إلى هذا الأب ولقد أثار هذا الدهشة في قلب أولوجيوس وتلاميذه وتعجبوا كيف أن الأب لم يكن يرتل حين كانوا في ضيافته

(١) ذكر « شبنو » أن الله أنزل هناك ضباباً كثيفاً حتى أنهم ضلوا الطريق دون أن يدروا ووجدوا أنفسهم قد عادوا أمام القلاية التي تركوها .

لكنتهم لما عادوا جدره لا يكف عن التسبيح كما أنهم لما كانوا حتى ضيافته كان يأكل معهم أشهى الاطعمة لكنتهم الآن وجدوا أن الماء الذي كان يشرب منه ماء ملح .

الح عليه الأب أولوجيوس أن يعرف عن هذا السر ، فلم يجب الأب يوسف الذي كان متحفظاً في كلامه، لكنه أوضح أنه من المستطاع أن يكون الانسان متقشفاً جداً دون أن يعمل زواره متاعب تقشفه ، هذا فضلاً عن أن حياة القداسة هي حياة داخلية ... وقال لحدثه بوداعة : « لقد شربت الماء الذي يشربه جميع الاخوة عادة لكنه كان ينقصه حلاوة المحبة ، ففهم أولوجيوس الدرس وخرج منتفضاً .

الحفيا فضائله

جاء مرة إلى الأب يوسف بعض الاخوة في أيفرو وسألوه قائلين : « كيف يمكن أن نقابل الاخوة الذين يوزوروننا ؟ وهل يكون لإكرامنا لهم معطلا لنظام حياتنا الروحية ، أما الأب يوسف فلم يجب بشيء بل ذهب في هدوء وأحضر مقعدين بسيطين وطلب اليهم أن يجلسوا ثم تغيب برمة داخل قلايته حيث ليس حلايس رجمة وأن يجلس بينهم ، وبعد برمة أبدل مئذة الملابس

٣ - الأب يوسف الإسقيطى

هو أب قدس من آباء البرية ترهب وهو صبي في الإسقيط،
انتمصر على الشهوات وتعلم حياة العفة في سنى حياته المبكرة وكان
ساراً في العبادة مداوماً على الصوم والصلاة والسير، ضرب لنا
مثالاً في كيفية استخدام هذه الأسلحة، وبنعمة المسيح المؤازرة
له والانتكال عليه انتصر مشجعاً نفوسنا.

روى أن رجلاً من العالبيين كان معه ابن فطيم، فذهب به
إلى الإسقيط ولما طالت مدة إقامتهما هناك كبر الصبي ونشأ
فرهبته...، وحدث بعد رهبانيته بقليل أن بدأت الشياطين
تحرك فيه الشهوة الرديئة، فقال لآبيه: «إني ماض من ههنا إلى
العالم، لأنى لست قادراً على أن أصبر على هذا القتال الصعب»،
لكن أباه عراه وكان يطلب إليه ألا يمضى، لئس الشاب كان
يعود إليه ويقول: «يا أبى لست قادراً أن أقم ههنا، أتركنى
أمضى، فقال له أبوه أخيراً «أطعنى يا ابن هذه المرة فقط وخذ
معك مائة خبزة وخذ كذلك من الخوص ما يكفي لعملك مدة

بملابس جديدة ثم ارتدى ملابسه العادية - وأما الضيوف فكانوا
متحيرين ولم يفهموا ما فعله هذا الأب وهووا يسؤاله فقال لهم
الأب يوسف في وداعة قد رأيتهم جيداً انى ما تغيرت بارتياد
أى نوع من أنواع الملابس... أنا نفسى مهما ارتديت من مختلف
التياب، وأن المظهر الخارجى لا يفهم من الحقيقة.

فذهبوا وكرموا اخوتنا الضيوف وليكن ذلك دائماً
يسرور - ولدينا متسع من الوقت للبكاء هل خطايانا عندما نخلو
إلى أنفسنا.

ولما سمعوا هذه الكلمات مجدوا الله وفهموا روح تعاليم
الكتاب المقدس وانصرفوا فرحين.

إن الأب يوسف الذى نحن بصدد كتبه عنه يوحنا كاسيان
المؤرخ الشهير لانه كان قد تقابل معه شخصياً بل أقام من أجله
ومن أجل آخرين سبع سنوات في مصر، وقد خلف لنا كاسيان
الكثير من أقوال هذا القديس وسنشرها في كتاب خاص بها
أن شاء الله.

(من كتاب [Nicene and Post Nicene Fathers Vol. XI
John Cassian] .

أربعين يوماً وامنض إلى البرية الداخلية وأقم هناك إلى أن تفرخ
 من خبزك ومهلك ، وبعد ذلك لتكن مشيئة الله ، فأطاعه
 الحدث ودخل إلى البرية الداخلية ، وأقام بها يتعب ويصفر
 الخوص ويأكل خبزاً يابساً ، فلما أتم عشرين يوماً ظهر له الشيطان
 في شكل سوداء ... وقال له أنا الذي أزرع في قلوب الناس
 الأفكار الرديئة وأجعلهم يشتهون ... لكن الله لم يتركني أخدعك
 وأسقطك في الهلاك ، فشكر الشاب الله وعاد إلى أبيه قائلاً :
 « لست أريد أن أمضى إلى العالم يا أبى ، لاني قد رأيت العدو
 وتأفقت من راحته (١) .

† † †

٤ - الأب يوسف قس إسكالون بفلسطين (١)

كان هذا الأب قساً على هذه المدينة وكان الفساد منتشراً فيها
 وكان هذا الأب يجاهد لكي يكسب للسيح شعباً من هذه المدينة
 وكانت له خبرات كثيرة في كيفية مناقشة البعيدين كما أن قصصاً
 كثيرة منسوبة إليه بشأن الطهارة والعفة وقد روى لنا هذا الأب
 إحدى القصص عن أحد التجار الأغنياء الذي كان قد اقترض
 من أحد قائه بعض السلع إبتاجر بها لسكنه فقد كل شيء على أثر
 حاصفة شديدة أغرقت سفينته ونجا بنفسه أخيراً .

لما رجع إلى المدينة وطالبه دائره لم يستطع أن يوفيه شيئاً
 فالتولوا على كل بيته ولما لم يكفهم ذلك أسكوه وسلوه إلى
 السجن فبقيت زوجته بلا عائل تقسول .

واستطرد الأب يوسف يقول ظل هذا التاجر المتق الرب

(١) مدينة Ascalon من أقدام مدن العالم كان بها هيكل إله الجلال
 عند الأفریق وكانت موطناً لميرودس الكبير ولكنها خربت كلية منذ
 سنة ١٢٧٠ م .

(١) عن بستان الرهبان .

سحتلا وشاكراً و متمسكاً بكلمه لك ان إبليس - خذاه الله - أراد
أن يجره خاصة والعائلة مشتتة بهذه المحنة .

حدث أن أحد وجهاء المدينة دخل في قلبه الشيطان وأراد
أن يفسد طهارة المرأة وأغراها بأن يوفى جزءاً كبيراً مما على
زوجها، وسألها سمعت المرأة القديسة هذا الكلام هربت من أمام
وجهه بسرعة وهي تقول قلباً نقياً أخلقه في يا الله ثم هتفت من
أعماق قلبها ألسنت أنت يا رب توفى عن المديونين ؟ ذهبت المرأة
إلى زوجها وكانت حزينة النفس جداً حتى أنها بككت فسالها زوجها
ظاناً أنها حزينة من ضيقها وأراد أن يطيب نفسها ولينكحتها
أخبرته عن سبب حزنها .

وجلسا سوياً يتحريان بكلام الله ثم صليا وودعا بعضهما
بعضاً وكان زوجها يقول لها : ه ان لي رجاء في إلها أنه سوف
لا يهملنا أو يتركنا أبداً .

ثم قال الأب يوسف أنظروا يا إخوتي كم أن الله يبق أميناً
إلى الأبد فقد سمح الرب أن يسمع هذا الكلام أحد المسجونين
فتمكن له وقع عجيب حتى اهتزت نفسه بهذا الكلام وتعجب كيف
أن حياة الطهارة ثمينة بهذا المقدار وما هو مقدار السعادة والتعزية

التي أعطاه الله لهؤلاء الذين يتقونه ... وقال في نفسه ينبغي علي
أن أرجع إلى الله لعله يقبلني لأنني سمعت أن الله يقبل الخطاة .
وأنها فرصة ثمينة للتوبة . وعلى أن اصنع رحمة مع التاجر .

ثم تحدث إلى التاجر وقال له قد علمت أنك متيق الله وقد
تهزيت بالامس بما سمعته من كلام الحياة الذي كلمت به زوجتك .
والآن ان إلهك حرك قلبى الجماد التوبة خاصة وإلى بعد أيام
سوف أحاكم من أجل أعمال الرديئة فتعال أخبرك ماذا تفعل من
أجل لسبب تخلف نفسك ، إن لي بعض التوبة كنت قد خبأتها
في المكان (الفلاني) فأرجو أن تذهب امرأتك وتنب عنها ومضى
وجدها تزد من هنا ما عليك من دين ، وهكذا تخلف التاجر
من السجن وعاد منزله فرحاً وطاش مع زوجته في سعادة ، وأخذ
يزور المسجون القائب ويتفق عليه حتى يوم الافراج .

+++

« وأنت كيف تشرح هذا الجزء ؟ » فرد الأب يوسف بتواضع :
 « القول الحق يا أباي لا أعرف ، فأنا غير قادر على ذلك تماماً ،
 فرد القديس انطونيوس قائلاً : « حسناً ان الأب يوسف
 وحده هو الذى وجد الطريق ليقول الرد الصحيح وهو
 لا أعرف . »



٥ - الأب يوسف المعاصر للقديس انطونيوس

من رجال القرن الرابع كما يؤخذ ذلك من زيارته للأنبا
 انطونيوس ، وعرف بفضائله وبكلماته التوجيهية التي نقلت
 شفاهاً بين الرهبان من أجل البنيان المأم للنفوس - وكان هذا
 الأب من مشاهير شيوخ البرية الممتازين .

وذكر بلاد يوس عنه :

ذهب الأب يوسف يوماً بصحبة اثنين من المتوحدين
 المتقدمين في الأيام لزيارة الأنبا انطونيوس الكبير في الجبل ،
 وأراد أبو المتوحدين أن يمتحنهم فوجه حديثه إلى الكتيب
 المقدسة وسألهم الواحد بعد الآخر ، وكان كل واحد يجيب
 حسب قوته ، وكان القديس انطونيوس يقول عند كل رد أنه
 ليس بالرد المطلوب ، ولما جاء دور الأب يوسف سأله :

٦- الأب يوسف الطبايسى المتوحد بمصر

ذكره شينو، هذا الإسم وذكر تحت هذا العنوان بعض القصص (١)، كما أورد بستان الرهبان (٢) بعض الأقوال منسوبة إليه.



(١) شينو من ١٣٣ - ١٣٦.

(٢) ص ٤٩ جزء ثلث.